انسانية هوميروس وموقفه من الحرب :

والشمول في نظرة هوميروس إلى الكون مشحون بالطيبة الانسانية. فالعدالة التي يجب على الناس التقيد بها ويجب على الآلهة حمايتها هي الحب المتبادل والتواضع والبشاشة ونبل النفس ، أما الظلم فهو في التوحش وقسوة القلب . وهوميروس لايغفر حتى لآخيليس ، بطله المحبوب « وحشية الاسد » التي يتصف بها ، ان موقف هوميروس هذا ليس امرا متعارفاً عليه فحسب ، بل تجربة دفع الناس ثمنها غالياً على مر التاريخ ولا يزالون يدفعون حتى يومنا هذا .

ان انسانية هوميروس عظيمة إلى حد يتجاوز معه الشاعر الحدود الرئيسية في الأدب الملحمي البطولي . الشعر البطولي الملحمي هو ، في العادة ، اغنية للحرب باعتبارها التجربة التي تبرز قوى النفس ، وهوميروس يمتدح الحرب فعلا ، ولكنه يلعن كوارثها وبشاعاتها واحتقارها الفظ لكرامة الانسان . هنا يتصارع في نفس هوميروس موقفان ، الأول — امتداح الحرب وهو يعود باصله إلى اخلاق الدوريين البدائية المتوحشة ، والثاني — النفور منها وهو يعود إلى الأخلاق الجديدة ، إلى الإيمان بالحق والسلام . هنا يلتقي هوميروس بشكسبير ونلتقي نحن قراء القرن العشرين مع الاثنين ، هذا هو مايربطنا بجيكوب . اننا جميعاً ندرك رعب بريام العجوز الذي يبكي ميتته الفظيعة المزرية قبل حلولها :

آه ، ان الفتى مجيد
كيفما كان وضعه عندما يسقط في المعركة ممزقاً بالسيف النحاسي ، —
كل شيء مكشوف فيه ، وهو الميت ، رائع .
اما اذا كانت لحية المرء بيضاء ورأسه يشتعل شيباً .
وكانت الكلاب تدنس خجل الرجل العجوز ، —
فذلك مصير لايصيب الناس الأشقياء ماهو اشد منه مرارة .

وبالقدر نفسه ندرك احتجاج شكسبير الغاضب ضد القدر الذي يسمح بتدنيس انسانية الانسان :

اخجلي ياالهة الحظ . اقيليها ،
ايتها الآلهة ، انزعي الدولاب من بين يديها
اكسري القوس وحطمي الاسياخ
واقذفي بالمحور من فوق الغيوم
إلى الجحيم الملتهب .